الشعر العربي

في التاريخ

(٣)

الشعر الحديث او شعر القرن التاسع عشر والقرن العشرين

بلغ الشعر المولّد اوجهُ في اوج الدولة العباسية فلما ضعف امرها واخذ نفوذ العناصر الاعجمية من ديلم وسلاجقه وبربر وسواهم يزداد في السلطنة اخذت شعلة الادب العربي تضعف رويداً رويداً ولم تعمّ حتى اصبحت بعد قليل ضئيلة جدًّا. وبعد ان كانت كلٌّ من بغداد في الشرق وقرطبة في الغرب عاصمة لسلطنة واحدة النفوذ الاكبر فيها للغة الخلافة والدولة والروح الادبية فيها روح القومية العربية اصبحت السلطنة دويلات دويلات والخلافة رآسة روحية لا نفوذ لها وبالتالي انحلّت تلك الرابطة القومية التي كانت تربط عناصر المملكة برباط واحد من اللغة والآداب ففقد الناطقون بالضاد نشاطهم الروحي وخمدت في نفوسهم نار الوحي الشعري ولم يبق من مجال واسع لهم في ميادين الادب فقل النبوغ وجلّ الاقطار العربية ظلام ادبي اشبه بظلام القرون الوسطى في اوربا لم تخرج منهُ الاّ في القرن الماضي

وليس الفضل الاكبر في النهضة الحديثة لشخص دون شخص او لفئة دون اخرى بل لعوامل عمرانية عمومية اثرت في البلاد الشرقية العربية ونفخت في ابنائها روح التقدّم وطلب المعالي

واهمُّ هذه العوامل استقلال مصر الذاتي كامارة عربية تحت البيت الخديوي واحتكاك الشرق بالحضارة الغربية بواسطة الارساليات الاجنبية

اما العامل الاول فلأن قيام محمد علي الكبير او انفرادهُ بامارة كالقطر المصري كان يقتضي انشاء حلقة ادبية علمية تدور حول عرشهِ وترمي الى تعضيد مشروعهِ فنشأ من ذلك ظهور بضعة من المؤلفين والمرّبين في سوريا اولاً ومصر ثانياً ممن احيوا آداب اللغة ونشطوها بالعلوم العصرية والافكار الجديدة وعقب ذلك وفود

الارساليات الاجنبية وفتحهم المدارس في انحاء البلاد فكثر عدد المتنورين وحدثت الحياة الادبية تتنعش في الاقطار العربية وكان من ذلك انشاء المطابع والجرائد ووثوب الناس عموماً الى التعلم والتأدب ومجاراة الامم الراقية

وما اشبه هذه النهضة الحديثة بالنهضة العباسية فان كلتيهما كانتا نتيجة احتكاك العقل الشرقي بالعلوم الغربية على ان بينهما اختلافاً لا يسع المؤرخ انتقاده الاغضاء عنهُ. وهو ان النهضة العباسية قامت بواسطة الخلفاء واموالهم ومناصرتهم للعلم والادب وهذه قامت بالاكثر من الشعب ولا تزال الى الآن شعبية محضة. نعم ان محمد علي كان من منشطي هذه الحركة ولكن ذلك لا يجعلها ملوكية كما كانت في القرن الاول العباسي فان الحركة العلمية يومئذٍ كانت بيد الخليفة او الامير ينشطها او يميتها واعمال المنصور والرشيد والمأمون والناصر وابنهِ لا تنكر. واما الحركة العصرية فقد عقبت استنارة الجمهور بنور العرفان وخلعهم اطمار الجهل والتقليد الاعمى التي كانت قد اعمت ابناء البلاد العربية في ستة القرون السابقة. ومما يدعو الى الذكر ان العرب في العصر العباسي وفي ابان نهضتهم مع اقبالهم على علوم اليونان وفلسفتهم لم يكترثوا لآدابهم ولم يهتموا بمنظوماتهم ولذلك بقي الشعر العربي على حالتهِ لم يتأثر الا تأثراً يقتضيهِ انتشار العلوم واتساع الحضارة الاسلامية. اما اليوم فان اكثر الادباء والشعراء المعدودين هم الذين تضلعوا من العلوم الاجنبية واطلعوا على آداب الاجانب وتأثير ذلك ظاهر في التحوّل الذي قد بدأ يظهر في الشعر العربي

على ان هذا التحوّل حديث جداً حتى في الشعر الحديث ولا اكون مخطئاً اذا قلت انهُ من اعمال القرن العشرين فان شعراء القرن التاسع عشر لم يخرجوا في شعرهم عن طريقة القدماء او عن مواضيعهم بل تحدّوهم وجروا مجراهم او ربما قصروا عنهم في بعض الوجوه ومن يطلع على دواوين البارودي الكبير ومعاصريهِ في مصر وسوريا يرَ ذلك جليًّا للعيان. ولا بدع فان هؤلاء هم مؤسسو النهضة الادبية الحديثة ولا بدّ في التأسيس من الرجوع الى القديم واحياء روح السلف واختطاط الطريق للتابعين الذين عليهم يتوقف الابداع في الاساليب الجديدة والافكار الجديدة

ومع ان الشعر العصري لا يزال اكثره يجري في طريقة القدماء فانه في العالم العربي ولاسيما في سوريا ومصر والمهاجر السورية روحاً جديدة واساليب حديثة تبشر بانقلاب عظيم سيحدث في الادب العربي وقد بدأت هذه الروح الجديدة تظهر بمظاهر مختلفة اهمها

ظمأة الوجود والنظر في الحياة
الحالة الاجتماعية والمبادىء الديموقراطية
عبر التاريخ وعظات الزمان
المبادىء السياسية والنزعات الوطنية
تأملات النفس
الانتقاد والاصلاح
التفنن في وصف العواطف والطبيعة

وكل ذلك يرجع الى الشعور الداخلي لان الشعر الحقيقي انما هو هيجان النفس لدى مبدإٍ روحي عظيم وحمل الناس على اعتناقه

الشعر الحديث كما يفهمه المنتقد الحديث هو تلك الجاري الفكرية السامية التي تمثل شخصية الامة وتسوقها الى العمل او الى الارتواء من منابع الجمال الالهي التي يجب ان ترتوي منها الامم لتحيا وتدرك الغاية من الحياة. وعلى هذا المبدإ نرى هنا وهناك اليوم قصائد ربما لم تكن لاحد مشاهير الشعراء الذين انتهت دورتهم الشعرية في طبع دواوينهم ولكنها قصائد تشف عن عواطف جديدة في الشعر العربي وخيالات غريبة مثبتة على حسن نظر في الوجود وعمق ادراك لاسرار الجمال ولا شك ان تفوق الشعر الحديث سيكون للروحيين من ابنائه الذين سيمثلون لنا الحياة افضل تمثيل فيرفعون نفوسنا الى ذروات المجد ويدفعونها في سبل التقدم

والتحول في الشعر الحديث لم ينحصر في الروح والعواطف بل مس الاوضاع ايضاً وذلك طبيعي فان تجدد الاوضاع تابع لتجدد الروح وعليه نرى الكثيرين من شعراء اليوم يتفننون في الاساليب الشعرية حتى فاقوا من تقدمهم في ذلك وانفردوا بطرائق هي غاية في الجمال . فقد اخذوا الاوزان الشعرية وتلاعبوا فيها

تلاعباً بين توشيح وترصيع وتسميط فقدموا واخروا وثنوا وجمعوا وضموا وقسموا واحدثوا صوراً كثيرة واساليب جميلة على نحو الاساليب الغربية فجرت عواطفهم عليها مجرى المياه العذبة على درر الحصى . وانما دفعهم الى ذلك ان المواضيع التي نشأت عن الحضارة الحديثة تقتضي اساليب جديدة تشعر معها النفس بحرية وانطلاق لم تشعر بهما من قبل . من ذلك وضعهم للشعر المنثور واقبال طائفة من الادباء عليه واستحسان الجمهور للجيد منهُ

وزبدة القول ان الاطوار الثلاثة التي دخل فيها الشعر العربي تمثل حضارات مختلفة — فالطور الاول او الشعر القديم يمثل الحضارة البدوية

والطور الثاني او الشعر المولّد يمثل عمران البلاد العربية

والطور الثالث او الشعر الحديث يمثل المدنية الحديثة

ولكل من هذه الاطوار او الحضارات حسنات وسيئات . على ان سنة النشوء والارتقاء تعمل عملها في الادب كما تعملهُ في الطبيعة وهي تقضي بالتجدد — تجدد الروح وتجدد العواطف — والتقدم اي الخروج عن الحياة القديمة الى ما هو اجلّ واسمى

انيس الخوري المقدسي

الوسطاء والاعمال الخارقة

تحقيق ساحر

قلنا في المقالة التي موضوعها فصل الخطاب في مسألة الارواح المنشورة في مقتطف مارس « قد يحتمل ان يكون من اعمال الوسطاء ما هو حقيقي لا خداع فيهِ ولا انخداع ولكننا لم نرَ شيئاً من ذلك حتى الآن . وما نقولهُ نحن يقولهُ الجمهور الاكبر من الباحثين في هذا الموضوع ». وواضح من ذلك ان بعض الباحثين في هذا الموضوع يقولون انهم رأوا من اعمال الوسطاء ما هو حقيقي لا خداع فيهِ ولا انخداع . فمن كان منهم مثل السر اوليفر لدج لا نستطيع ان نعتمد على رأيهِ لاننا نعتقد انهما مخدوعان مع إكبارنا قدرهما العلمي . غير اننا